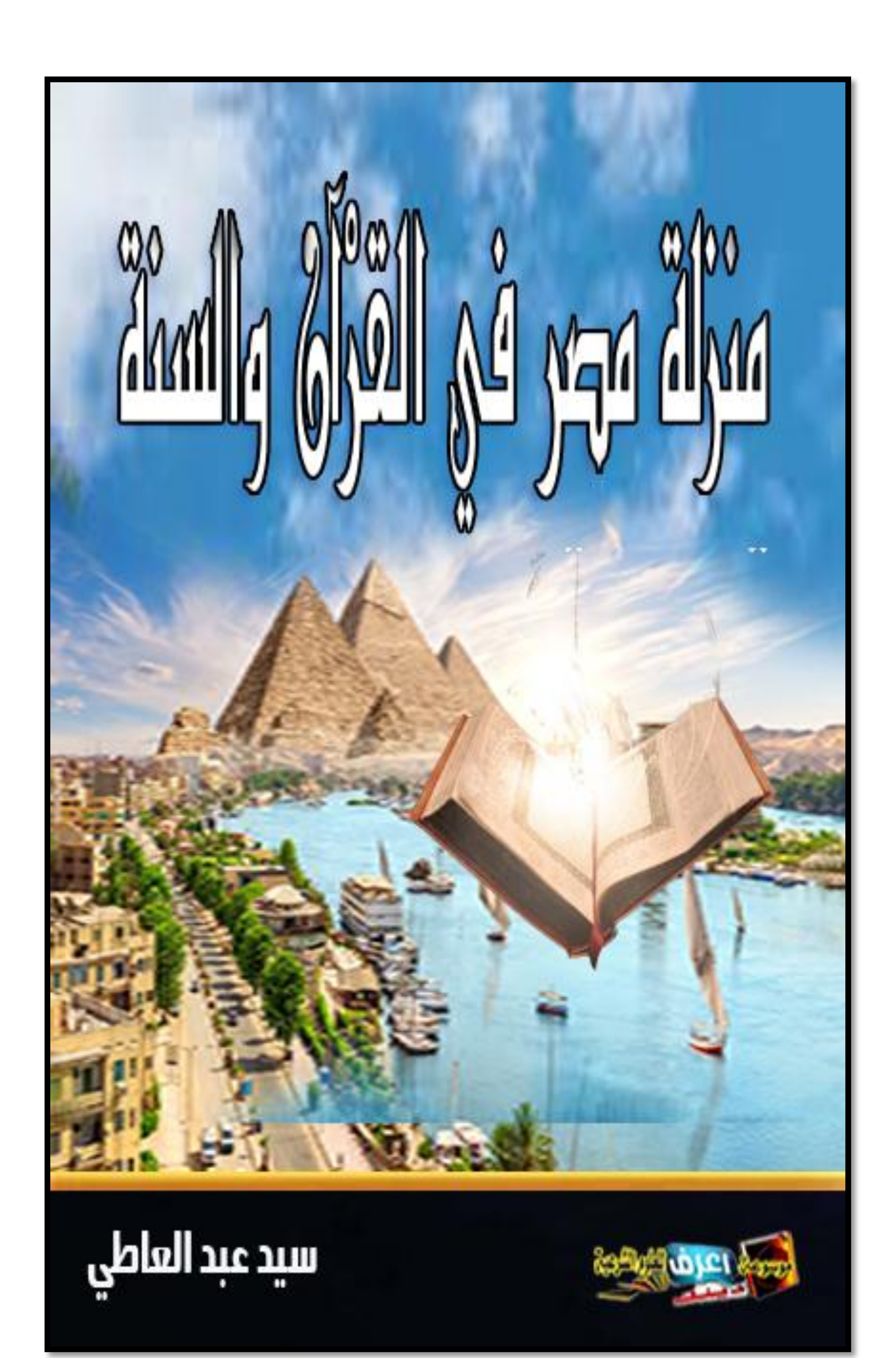

منزلة مصر في القرآن والسنة
سيد عبد العاطي



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِله رَبِّ الأرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الألْبَابِ ، وَعَدَ عِبَادَهُ

الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيم الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذِهِ نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ مَنْزِلَةِ مِصْرَ عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:



•أَوَّلًا: مَنْزِلَةُ مِصْرَ عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

–لَقَدْ حَظِيتْ مِصْرُ بِمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ،فَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا صَرِيحًا عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ،وَالْمَرَّةُ الْخَامِسَةُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالتَّحْدِيدِ مِصْرَ وَحْدَهَا وَإِنَّمَا أيّ مِصْر ،وَالْمِصْرُ هُوَ الْمَكَانُ،وَهَذَا دَلِيلُ تَكْرِيمٍ لِمِصْرَ اسْمًا وَشَعْبًا وَمَكَانًا.

(1)قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.(يونس:٨٧).

(2)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.(يوسف:٢١).

(3)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}.(يوسف:٩٩).

(4)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ}.(الزُّخرف:٥١).

(5)الْمَرَّةُ الْخَامِسَةُ الَّتِي وَرَدَ اسْمُهَا بِمَعْنَى الْمَكَانِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ}.(البقرة:٦١).



•وَاخْتَلَفُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي عَدَدِ مَرَّاتِ ذِكْرِ مِصْرَ عَنْ طَرِيقِ التَّلْمِيحِ لَا التَّصْرِيحِ عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ،فَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّهَا ذُكِرَتْ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً،وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّهَا ذُكِرَتْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً،وَيَرَى فَرِيقٌ ثَالِثٌ أَنَّهَا ذُكِرَتْ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً،وَهَؤلَاءِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى فَهْمِ وَإِدْرَاكِ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِمِصْرَ مِثْل الْأَرْضِ، الْقَرْيَةِ، الْمَدِينَةِ، الطُّورِ، سَيْنَاءَ، سِينِين.. إلخ.

–مِنْ ذَلِكَ:

–قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ

مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ}.(القصص:١٥).

-قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي تَفْسِيرِهَا:{يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: (وَدَخَلَ) مُوسَى (الْمَدِينَةَ) مَدِينَةُ مَنْف مِنْ مِصْرَ (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) وَذَلِكَ عِنْدَ الْقَائِلَةِ، نِصْف النَّهَارِ}.



-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}.(المؤمنون:٥٠).

-وَتَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ حَوْلَ مَعْنَى(وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)،فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:(فِلَسْطِين)وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:(الرَّمْلَة)وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:(دِمَشْق)،وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ:(مصر).

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.(يوسف:٣٠.)

-وَالْمَدِينَةُ مَنْفٌ، وَالْعَزِيزُ رَئِيسُ وُزَرَاءِ مِصْرَ حِينَئِذٍ.

-وَقَالَ تَعَالَى حِينَ وَصَفَ مِصْرَ وَمَا كَانَ فِيهِ آلُ فِرْعَوْنَ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْمُلْكِ بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ مَشْرِقًا وَلَا مَغْرِبًا، وَلَا سَهْلًا وَلَا جَبَلًا، وَلَا بَرًّا وَلَا بَحْرًا:{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٢٦)وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ(٢٧) كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}.(الدُّخَان:٢٥:٢٩.)

-وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ مِصْرُ، فَقَدْ كَرَّمَهَا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَوَصَفَهَا بِالْكَرَمِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}.(القصص:٢٠).

-وَالْمَدِينَةُ هِيَ مَدِينَةُ(مَنْفٌ)بِمِصرَ،وَالْآيَاتُ عَلَى هَذَا النَّسَقِ كَثِيرَةٌ.



•ثَانِيًا:مَنْزِلَةُ مِصْرَ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

(1)•أخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2543)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا قَالَ فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا}.

–مِنْ رَحْمَةِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِأُمَّتِهِ، وَوَضْعِهِ لِأَصْحَابِهِ قَوَاعِدَ مُعَامَلَةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي هَذَا الْحَدِيثِ، مِنْ أَنَّهُمْ سَيَفْتَحُونَ أَرْضًا، أَيْ: بَلَدًا وَهِيَ(مِصْرُ)يُذْكَرُ فِيهَا (الْقِيرَاطُ)، وَهُوَ مِعْيَارٌ فِي الْوَزْنِ وَالْقِيَاسِ، وَاخْتَلَفَتْ مَقَادِيرُهُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمِنَةِ،(فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا)، أَيْ: لِيطْلُبْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضِ الْوَصِيَّةَ بِهِمْ، أَوْ لِيَطْلُبْ كُلٌّ مِنْكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ الْوَصِيَّةَ بِهِمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ (ذِمَّةً)، أَيْ: حَقًّا، (وَرَحِمًا)؛ وَذلكَ لِكَوْنِ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ–عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ مِصْرَ،وَكَذَلِكَ مَارِيَّة أمّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَبِيِّنَا–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنْ مِصْرَ.

–فِي الْحَدِيثِ: عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِ الصِّحَابَةِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – فَتَحُوا مِصرَ بَعْدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.–

–وَفِيهِ: الْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الذِّمَّةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ.



(2)•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–أَيْضًا–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٥٤٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا قَالَ فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا}.

•فَمِصْرُ لَهَا قَدْرُهَا حَقِيقَةً وَوَاقِعًا، تَارِيخًا وَجُغْرَافِيَةً، وَكَذَلِكَ شَرْعًا وَدِينًا، وَعَلَى أَبْنَائِهَا أَنْ يَحْمَدُوا اللهَ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– عَلَى نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَصُونُوهَا، وَأَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَمْنِهَا، وَأَنْ يُحْبِطُوا كَيْدَ أَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يُفْسِدُوا عَلَى الْمُتَآمِرِينَ مُؤَامَرَاتِهِمْ، وَأَنْ يَتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي حَاضِرِ بَلَدِهِمْ، وَفِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَفِي تَارِيخِهِ، وَفِي تُرَاثِهِ، وَفِي أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ، وَفِي تَنْمِيَتِهِ وَتَرَقِّيهِ فِي مَدَارِجِ الْعُلَى –فَمِصْرُ إِنْ ضَاعَتْ ضَاعَ فِي الْعَالَمِ تُرَاثُ الْمُسْلِمِينَ.

•فَاللَّهُمَّ أَمِّنَّا فِي أَوْطَانِنَا،وَاجْعَلْهَا أَمْنًا آمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَجَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ،مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،

وَرُدَّ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَيْدَ الْكَائِدِينَ،وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ،وَعُدْوَانَ

الْمُعْتَدِينَ،وَانْصُرْ دِينَكَ وَمَنْ نَصَرَ دِينَكَ،وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني